المحاضرة التاسعة: المنهج التحليلي

يعد المنهج التحليلي واحدا من أهم وأبرز مناهج البحث العلمي، وهو منهج يقوم على تقسيم أو تجزئة الظواهر أو المشكلات البحثية إلى العناصر الأولية التي تُكَوِّنها؛ لتسهيل عملية الدراسة، وبلوغ الأسباب التي أدَّت إلى نُشوئها، ويستخدم المنهج التحليلي عدة طرق في عملية معالجته للمشكلات البحثية، ومن أبرز هذه الطرق طريقة التفكيك، طريقة التحليل، بالإضافة إلى استخدامه لطريقة التركيب.

أولا: مفهوم المنهج التحليلي

تعني كلمة تحليل: في اللغة الفك والفتح، فيقال "حلّ، حلّل" العقدة، أي فتحها فانحلت، وذلك بمعنى فك كل ما هو مركب إلى أجزائه. وفي الفلسفة تعني كلمة التحليل فك أو رد الموضوع الذي تتناوله بالبحث إلى مصادره أو عناصره الأولية سواء أكان ذلك الموضوع فكرة أو قضية أو عبارة عن عبارات اللغة. والواقع أن معنى التحليل في الفلسفة المعاصرة أصبح أكثر واشد ارتباطا بالتوضيح، فهو يبرز ويوضح ما نعرفه بشكل غامض، فالتوضيح يأتي عن طريق إبراز عناصر الموضوع الذي نحلله، بحيث يصبح إمكانية تحقيق العبارة اللغوية مرتبطاً بمطابقتها لما جاءت ترسمه أو تصوره من وقائع العالم الخارجي.

وهكذا يمكن تعريف الفلسفة التحليلية بأنها: " عملية يراد بها اكتشاف عناصر موضوع معين، من أجل غرض خاص، وهذا يعني أن الغرض من التحليل هو تقليل درجة الغموض في المركبات بتوجيه الانتباه إلى الأجزاء المتعددة التي تتركب منها ".

وفلاسفة التحليل يعتبرون تحليل اللغة هو العمل الأساسي للفلسفة، وتركز الفلسفة التحليلية على الألفاظ والمعاني، فالفيلسوف التحليلي يفحص المعاني مثل (العقل)، و(الحرية) حتى يُقدّر المعاني المختلفة التي توصلها هذه الألفاظ في مختلف السياقات، ويُبيّن كيف تنشأ صنوف التضارب أو التناقض الداخلي عندما تستخدم المعاني المتوافقة مع سياقات معينة في سياقات أخرى. ومع بداية

السبعينات من القرن العشرين اتجهت أنظار فلاسفة التحليل إلى التربية ووجهوا نشاطهم ليبحثوا موضوعاتها ومشكلاتها بمنهجهم التحليلي ، ومن هنا يكون من المهام الأساسية للتحليل أن يفك التشابك القائم بين السياقات المختلفة التي تناقش التربية فيها ويتجادل حولها، ودراسة الأفكار الأساسية والمعايير الموضوعية المناسبة لكل منها. ومن أجل هذا ركز الفلاسفة التحليلين نشاطهم على تحليل المقولات التربوية ومفاهيم التربية ومصطلحاتها، مثل إشباع الحاجات، الاهتمامات ، الضبط ، النظام ، العقاب ، القيم ، المعرفة ، ومفهوم التربية والكثير من المصطلحات.

ثانيا: المنهج التحليلي عند برتراند راسل (1872 ـ 1970)

يسمى منهج راسل بمنهج التحليل، يقول راسل عن منهجه هذا: "إن منهجي على الدوام هو أني أبدأ بشيء غامض ولكنه محير، شيء يبدو عُرضة للشك، إلا أنني لا أستطيع التعبير عنه بشكل دقيق، فأقوم بعملية تشبه عملية رؤية شيء معين بالعين المجردة أولا، ثم أفحصه بعد ذلك باستعمال المجهر". نستنتج من هذا التعريف العام خاصيتين هما: أ) تحقيق الوضوح. ب) وتحليل المركب إلى أجزائه المكونة له.

ويوصف منهج التحليل عند راسل بأنه منهج التبرير، بناء على تصوره الذي مفاده أن "كل اعتقاد نتبناه يحتاج إلى تبرير فلسفي". ولمنهج التحليل كما مارسه راسل ثلاثة أهداف وهي: **1 ـالتقليل من عدد الكائنات في العالم والتقليل من عدد المفردات اللغوية:** ويرتكز هذا الهدف على قاعدة أساسية يطلق عليها "نصل أوكام" وللدقة (موسى أوكامRasoir d'Ockham) وهو مبدأ للبرهنة، ارتبط بالقس الإنجليزي وليام الأوكامي، في القرن الرابع عشر، وصيغته على الشكل التالي: "لا يجب استعمال الكلمات المتعددة بدون ضرورة لذلك"، أو أيضا "لا يجب أن نضاعف عدد الأشياء إذا لم تكن هناك ضرورة لذلك" ويسمى أيضا بـ"مبدأ البساطة أو مبدأ الاقتصاد"، ومضمون هذا الهدف هو أن تصبح الأشياء مجرد فئات من المظاهر المعبرة عنها، والوصول إلى الحد الأدنى من المفردات اللغوية،ويتعلق الأمر باختزال عدد الأشياء في العالم واختزال عدد المفردات اللغوية. وكل ذلك من أجل الحد من الوقوع في الأخطاء.

2 ـتبرير المعتقدات المتبناة: ومعنى ذلك إيجاد الأسس التي ترتكز عليها هذه المعتقدات والأسباب التي أدت إلى تبنيها، والغاية من ذلك هو الوصول لحقائق واضحة بذاتها، مثل حقائق الإدراك الحسي ومبادئ المنطق، اعتمادا على تعريف راسل للواضح بذاته الذي هو: "ما يُعرف بطريقة أخرى غير الاستدلال."

3 ـالزيادة في المعرفة: من أهداف التحليل تقديم معرفة جديدة، ورغم أن التصور السائد عن التحليل هو أنه لا يتجاوز تحقيق الوضوح، فإن راسل يدافع عن فكرة خاصة به، وهي أن التحليل يحقق الوضوح والدقة، والزيادة في المعرفة في نفس الوقت. ويتصور راسل مهمة الفلسفة على أنها "فهم العالم على أفضل وجه ممكن". فالتحليل ضمن هذا المنظور يكشف عن معارف جديدة تخص عناصر ومكونات المواضيع المركبة.وعلى سبيل المثال: فالشخص الذي ينصت لسيمفونية دون أن يكون دارسا للموسيقى، لا يحصل إلا على انطباعات عامة وغامضة حول السيمفونية، خلافا للمايسترو قائد الفرقة العازفة، الذي ينصت للسيمفونية ككل مركب، وقد حلله لأجزائه المتعددة المكونة له.وفي مجال العلوم التجريبية: لما نتعرف على العنصرين المكونين للماء وهما الهيدروجين والأوكسجين، فإن ذلك لا يفيد الماء في شيء، ولكن الذي يعرف ذلك يكتسب معرفة جديدة بمكونات الماء عبر التحليل. ويذهل راسل إلى أن التقدم لن يتم إلا بفضل منهج التحليل. ويرتكز منهج التحليل على عمليتين هما:

ـ التحليل الاختزالي (أو الردي): ويتعلق برد أو اختزال المواضيع المركبة إلى عناصرها البسيطة وهو يطبق على الأشياء أو على ما ترمز إليه الرموز. مثلا التحليل الاختزالي للعقل: يهدف إلى استبعاد العقل (لغموضه) باختزاله إلى مظاهره مثل المخ والإحساسات والصور الذهنية...

ـ التحليل الرمزي (أو اللغوي): ويهدف إلى تعويض العبارات المحتوية على رموز بعبارات أخرى خالية من الرموز (والمقصود بالرمز هنا هو اللفظ)، فلفظ ديكارت رمز بسيط، أما "مؤلف مقال عن المنهج" فهو رمز مركب.

ويتميز منهج التحليل عند راسل بجملة من الخصائص، و يمكن إجمالها على الشكل التالي:

1 ـ يتميز منهج التحليل بالتمييز بين المشكلات، وتقسيم كل مشكلة إلى مكوناتها الجزئية، لتسهيل تناول كل جزء على حدة وبشكل منظم.

2 ـ يجعلُ منهجَ التحليل الفلسفةَ بحثا نظريا في الأشياء والعالم، بغض النظر عن رضانا أو عدم رضانا أو عن أية عملية إشباع كيفما كانت. وهذا يعني تجنب البحث في قضايا مثل أصل الكون، ومصير الإنسان، والسعادة...

3 ـ يتطلب منهج التحليل ألا تتجاهل الفلسفة معطيات العلوم ونتائجها، أي على الفلسفة أن تتوخى الموضوعية في أبحاثها دون التأثر بأية دوافع شخصية أو التأثر بأية معتقدات.

4 ـ يقتضي منهج التحليل أن يتخذ البحث الفلسفي مبادئ المنطق ونظرياته كأساس له، ومعنى ذلك أن تحاول الفلسفة استخدام بعض النظريات المنطقية الأساسية في التطرق للإشكاليات الفلسفية قدر المستطاع.

أما خطوات منهج التحليل عند راسل فيمكن صياغتها على الشكل التالي:

1 ـ الشعور بمشكلة فلسفية (ملازمة الغموض والحيرة والقلق للشعور بهذه المشكلة)

2 ـ إعداد المعطيات الخام لبحث المشكلة المعنية، وهي مختلف المعارف المألوفة التي تتميز بالغموض والتركيب، وهو ما يجعلها موضوعا للنقد والفحص والتحليل، لعزل العناصر الصادقة عن الخاطئة، والتخلص مما بها من حشو، وقد تؤدي عمليات الفحص والنقد إلى الشك فيها كلها.

3 ـ الانتقال من المواضيع المركبة الغامضة إلى العناصر البسيطة، ويتم ترتيب العناصر الأولية البسيطة في عدد محدود من القضايا التي ستصبح مقدمات أولية لمعتقداتنا.

4 ـ القيام باختبار العناصر البسيطة التي توصلنا إليها للتأكد من درجة يقينها، وإذا كانت النتائج التي توصلنا إليها والتي هي عبارة عن مقدمات أولية أقل غموضا من المعارف التي اشتُقت منها، فقد تكون بعض المقدمات الأولية تقتضي الشك فيها.

ثالثا: المنهج التحليلي عند جورج إدوارد مور (1873 – 1958)

يعد مور رائد الفلسفة التحليلية وذلك بعد ظهور مقاله المعروف:"رفض المثالية " فهو أول من فتح طريق التحليل المعاصر في الفلسفة. ويعد مور هو أول من خط طريق الفلسفة التحليلية عندما ظهر مقاله "رفض المثالية"، حيث نقد هذه الفلسفة فكان هذا النقد بشكله وموضوعه بمثابة منهج جديد في تناول مشكلات الفلسفة. كما انحصر الجانب الأكبر من نشاطه الفلسفي في الكشف عن المغالطات والأخطاء وشتى ضروب الخلط التي طالما حفلت بها مذاهب الفلسفة. وكانت المسائل الهامة في فلسفته على نوعين:

1 ـ العمل على بلوغ درجة حقيقية من الوضوح بخصوص ما قاله فيلسوف معين أو ما كان يعنيه حقاً بما قال.

2 ـ الكشف عن الأسباب الحقيقية الكفيلة بإقناعنا بأن ما قاله صحيح أو على العكس باطل.

وكذلك عمل مور على تحليل وتفحص أداء غيره من الفلاسفة لكي يرى ما قد تعنيه تلك الآراء، فمثلاً: كتب عام 1900 مقالاً عن الأشياء الضرورية أو التحقق مما إذا كانت القضايا التي تحكم فيها بأنها ضرورية صادقة أو كاذبة، بل إن كل ما يعنيه هو – تحديد معنى الضرورة – فالمشكلة لديه ماذا نعني بهذا الذي نقول أننا نعرفه.

والتحليل عند مور بمثابة منهج فلسفي أصيل يرمي إلى إدراك العناصر (المعاني) التي تنطوي عليها في العادة قضايا الذوق الفطري أو الحس المشترك.

و مور في منهجه التحليل يقر بضرورة معالجة المشكلات الفلسفية من زاوية (اللغة) التي تصاغ فيها تلك المشكلات، فهو أراد دعوة الفلاسفة إلى تجديد ألفاظهم وتحليل عباراتهم من أجل الوصول إلى المزيد من الوضوح حول الكثير من قضايا الفكر، و مور هو (فيلسوف الفلاسفة) هكذا اعتبره الكثيرون، لأنه لم يوجه كل اهتمامه نحو وقائع العالم، بل قد وجهه نحو أقوال الفلاسفة الآخرين وعباراتهم.